ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol.7 No.4 2023

أحداث السيرة النبوية في العهد المكي من خلال كتاب الطبقات الكبرى للإمام ابن سعد (230ھ):جمعاً ودراسة مقارنة تحليلية

The events of the Prophet's (P.B.U.H) Biography in the era of Mecca in the book Al Tabaqat Ul-Kubra by Imam Ibn-e-Saad (Died 230 AD)

☆ حافظ محمد أبو بكر

باحث دكتوراه بقسم السيرة والتاريخ الإسلامي بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

☆☆ د.يوسف محمد طاهر

أستاذ مساعد بقسم السيرة والتاريخ الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

Abstract

Allah Almighty has created distinguished and great scholars for this Ummah who composed and taught the biography of the Prophet (S.A.W). The Imam Abu Abdullah Muhammad bin Saad al-Hashemi al-Basri (may Allah Almighty have mercy on him) is among these honourable scholars. He is considered to be one of the most important scholars who have contributed in this field. He wrote a lot of the Prophet's biographies. Among these Prophet's biographies, the most important of his Prophet's biography works is the "Al Tabaqaat ul Kubra". It is considered to be one of the most famous compilations of Ibn Saad from which he became famous. He devoted the first and second part of this book for the biography of the Last Prophet Muhammad (S.A.W.). While the last part has been devoted for the biographies of female companions of the Prophet Muhammad (S.A.W.) among the Muhajireen and Ansar (may God be pleased with them). His book "Al Tabaqaat ul Kubra" is considered to be the first book after the Prophet's biography written by Ibne Ishaq and Magahzi Al Waqid (may Allah Almighty have mercy on them).

Keywords :Ibn Saad, Prophet's biography, Al Tabaqaat ul Kubra, distinguished scholars, Islamic heritage.

مدخل:

لقد خلق الله تعالي في هذه الأمة علماء أجلاء وكبارا قاموا بتأليف السيرة النبوية وتعليمهم، ومن هؤلاء العلماء الكرام الإمام أبو عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري رحمه الله تعالي، الذي يعد من أهم العلماء الذين ساهموا في هذا المجال، فعمل علي تأليف المؤلفات التي تحمل الكثير من السيرة النبوية ومن أهم هذه المؤلفات "الطبقات الكبري" ويعد من أشهر مصنفات ابن سعد وبه اشتهر وقد خصص الجزء الأول والثاني منه لسيرة الرسول خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، أما الجزء الأخير فقد خصصه لتراجم الصحابيات النساء من المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالي عليهم وعليهن ويعد كتابه الطبقات الكبري. اول مؤلف وصلنا بعد سيرة ابن إسحاق ومغازي الواقد رحمهما الله تعالي .وتنقسم هذه المقالة إلي مبحثين: المبحث الأول: يشتمل علي ترجمة المؤلف، والمبحث الثاني: يحتوي علي منهج الكتاب "الطبقات الكبري" والنماذج منه، والمقارنة والتحليل، والغرض منه لكي تعرف حياة المؤلف ومنهج الكتاب وأهميته العلمية .

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن سعد

ولد الإمام بالبصرة في سنة ثمان وستين ومائة من الهجرة (168هـ) (1) .

نشأته العلمية:

إن المصادر الكثيرة التي ترجمت لابن سعد لم تتوضح لنا معلومات مفصلة وموضحة عن حياته العلمية إلا ما أشار إليه الإمام الذهبي، فقال: "وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار" (2)، وإن هذه العبارة تشير إلي نشأته العلمية من وقت مكبر في حياته بالبصرة، وقال المحقق: زياد محمد منصور في مقدمة الطبقات الكبري: "ولد ابن سعد ونشأ في البصرة، التي كانت مركزا علميا هاما في ذلك العصر وقد ازدانت بعدد كبير من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء، فشب في تلك البيئة العلمية، وأفاد من علماء عصره، فسمع من الكثرين منهم" (3) .

رحلاته العلمية:

ولقد سلك محمد بن سعد مسلك أئمة علماء العلم وطلابه الذين بذلوا حياتهم القيمة طلبا في تحصيله وحرصا علي لقاء أهله، وانتقل من البصرة إلي المكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة وبغداد، التي قضي حياته الأكثر فيها حتي مات فيها .

ولم يحدد أحد من المحققين والمؤرخين والباحثين التاريخ الزمني لهذه الرحلات العلمية، والأوقات التي قضي أثناءها، غير أن توجد إشارة بسيطة وقاصرة التي ذكرها محمد بن سعد في ترجمة شيخه المدني أبو علقمة عبد الله بن محمد بن عبد الله الفروي، كما قال: "ولكنه عمر حتى لقيناه سنة تسع وثمانين ومائة بالمدينة. ومات بعد ذلك" (4)، فهذه العبارة تدل علي أنه كان موجودا في المدينة المنورة في هذا التاريخ السابق .

شيوخه:

ولقد تلقي محمد بن سعد العلم في فنون كثيرة من علماء عصره ومشايخه، وسوف أذكر بعض أساتذه المشاهير منهم.

1. أبو معاوية هشيم بن بشير الواسطي (5) .
2. أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي مولى لبني سهم من أسلم، وطلب العلم عام بضعة وأربعين (6) .

---

(1) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: 748هـ) المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405هـ-1985م، 664/10، رقم الترجمة (242) والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (المتوفي: 1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر، 2002م، 136/6 .

(2) سير أعلام النبلاء، 664/10، رقم الترجمة (242) .

(3) الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفي: 230هـ) المحقق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الثانية، 1408هـ، 19 .

(4) المصدر السابق، 492/5، رقم الترجمة (1445) .

(5) المصدر السابق، 235/7، رقم الترجمة (242) وسير أعلام النبلاء، 287/8-289، رقم الترجمة (76) .

(6) تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: الأولى، 1326هـ، 363/9-369، رقم الترجمة (606) .

3. أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي (7) .
4. أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح (8) .
5. أبو يحيى معن بن (9).
6. أبو معاوية محمد بن خازم الضرير مولى لبني عمرو بن سعد بن زيد مناة (10) .

ثناء العلماء عليه وتعريف مكانته العلمية عندهم:

ولقد أثني علي الإمام محمد بن سعد رحمه الله تعالي كثير من العلماء الكبار في عصره، فمنهم علي سبيل المثال:

1. وقال تلميذه الحسين بن فهم: كان كثير العلم كثير الكتب كتب الحديث والفقه والغريب (11) .
2. وقال ابن حجر: وكان أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين، وكان من أهل العلم والفضل والفهم والعدالة صنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين إلى وقته فأجاد فيه وأحسن (12) .
3. وقال الخطيب: وكان من أهل الفضل والعلم والعدالة وحديثه يدل على صدقه (13) .
4. وقال ابن الجوزي: وكان كثير العلم، كثير الحديث، كثير الرواية، كثير الكتب من الثقات (14) .
5. وقال ابن خلكان: كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء، وكان صدوقا ثقة، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتب، كتب الحديث والفقه وغيرهما (15) .
6. وقال الذهبي: "وكان من أوعية العلم، ومن نظر في الطبقات خضع لعلمه" (16) .
7. وقال ابن تغري بردي: وهو كاتب الواقدى صاحب الطبقات والسير وأيام الناس؛ كان إماما فاضلا عالما حسن التصانيف، صنف كتابا كبيرا فى طبقات الصحابة والتابعين والعلماء إلى وقته (17) .

مؤلفاته:

(7) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: 748هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1419هـ- 1998م، 251-250/1، رقم الترجمة (326-7/14) .

(8) الطبقات الكبري، 365/6، رقم الترجمة (2727) وسير أعلام النبلاء، 140/9، رقم الترجمة (48) .

(9) المصدر السابق، 503/5، رقم الترجمة (1460) والجرح والتعديل، 277/8، رقم الترجمة (1271) .

(10) تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ) المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، ط: الأولى، 1406هـ-1986م، 475، رقم الترجمة (5841) .

(11) تذكرة الحفاظ، 11/2، رقم الترجمة (431-8/13) .

(12) تهذيب التهذيب، 182/9-183، رقم الترجمة (274) .

(13) تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، 1422هـ-2002م، 266/2، رقم الترجمة (865) .

(14) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفي: 597هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1412هـ-1992م، 162-161/11، رقم الترجمة (1339) .

(15) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد ابن خلكان (المتوفى: 681هـ) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: 1992م، 352-351/4، رقم الترجمة (645) .

(16) سير أعلام النبلاء، 664/10-665، رقم الترجمة (242) .

(17) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الحنفي (المتوفى: 874هـ) الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 258/2 .

1. الطبقات الكبري، وسيأتي الكلام عليه .
2. الطبقات الصغير (18)، وأيضا ذكر الإمام المزي في ترجمة يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني، الدمشقي، "أن كتاب ابن سعد الطبقات الصغير يختلف في ترتيبه عن الطبقات الكبري" (19) .

وقال الدكتور فؤاد سزكين: "ويوجد فى متحف الآثار باستنبول، 435 (139 ورقة، فى القرن السادس الهجرى) ويبدو أن هذا الكتاب ألف قبل كتاب الطبقات الكبير، ويتضمن الطبقات الصغير تراجم لنفس الأعلام ولكنها أقصر من تراجم كتاب الطبقات الكبير" (20) .

3. التاريخ، ذكره ابن عبد الهادي، واليافعي، والكتاني (21) .
4. الجِيَل، انفرد فيه ابن نديم، (22) .
5. القصيدة الحلوانية فى افتخار القحطانيين على العدنانيين وإظهار فضل اليمانية علي النزارية (23)، ولها شرح كتبه غازي بن يزيد يوجد في دار الكتب المصرية بالقاهرة (24) .
6. الزخرف القصري في ترجمة أبي الحسن البصري، وذكره الحافظ الذهبي في ترجمة الحسن بن أبي الحسن يسار، فقال: "وقد كنت أفردت ترجمته في جزء سميته "الزخرف القصري" (25) .

وفاته:

قال الحسين بن فهم: "توفي الإمام محمد بن سعد رحمه الله ببغداد، في يوم الأحد، لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة ثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة، ودفن في مقبرة باب الشام" (26) .

---

(18) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، عام النشر: 1420هـ-2000م، 75/3، رقم الترجمة (3) وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (المتوفي: 1067هـ) الناشر: مكتبة المثنى، بغداد، تاريخ النشر: 1941م، 1103/2 .

(19) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفي: 742هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1400هـ–1980م، 189/32-190، رقم الترجمة (7022) .

(20) تاريخ التراث العربي، الدكتور فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، راجعه: د. عرفة مصطفى، د. سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام النشر: 1411هـ-1991م، 114/2 .

(21) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (المتوفى: 768هـ) وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1417هـ-1997م، 76/2 .

(22) الفهرست، محمد بن إسحاق بن محمد المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: 438هـ) المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت، ط: الثانية، 1417هـ-1997م، 112 .

(23) تاريخ التراث العربي، 515/4 .

(24) ابن سعد ومنهجه في كتابة التاريخ، إعداد الطالب: زيد صالح أبو الحاج، تحت إشراف: د.أ عبد العزيز الدوري، كلية علوم الإسلامية في قسم التاريخ، جامعة الأردنية، 1411هـ-1990م، 48 .

(25) تذكرة الحفاظ، 57/1، رقم الترجمة (66-3/1) .

(26) الطبقات الكبري، 258/7، رقم الترجمة (3615) وتهذيب التهذيب، 183/9، رقم الترجمة (275) .

المبحث الثاني: منهج محمد بن سعد في إيراد أحداث السيرة النبوية في كتابه "الطبقات الكبري" .

ولما ينظر القاري إلي منهج محمد بن سعد رحمه الله في كتابه "الطبقات الكبري" يجد منهجا واضحا قويا، علي سبيل المثال:

أولا: استشهاده بالآيات القرآنية

اعتمد ابن سعد بالآيات القرآنية استشهادا بها خاصة في ذكر بعض أحداث السيرة النبوية ووقائها، وتاريخ بدء الخلق، وقصص الانبياء السابقين الأولين عليهم السلام، لإن القرآن الكريم قد اشتمل علي آيات كثيرة التي، تناولت سيرة النبي صلي الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، ويعد القرآن الكريم من أول وأصح وأوثق مصادر السيرة النبوية، وله مزية كثيرة لاتوجد في غيره من الكتب الأخري، كما قال الله تعالي: {لَا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ} (27)، ونورد روايتين كنماذج ذكرهما في ذكر من انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} (28) قال: قد ولدتموه يا معشر العرب (29) .

أولا: ولم توجد في سيرة ابن هشام وابن إسحاق هذه الرواية، ونقلها السيوطي والشوكاني عن ابن سعد .

ثانيا: وثبت منها أن النبي صلي الله عليه وسلم كان منهم .

ثالثا: إن أفضل النسب وشرفه له أثر كبير في قبولية الدعوة .

قال: أخبرنا سعيد بن منصور أخبرنا هشيم قال: أخبرنا داؤد عن الشعبي قال: أكثروا علينا في هذه الآية: {قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى} (30) فكتب إلى ابن عباس. فكتب ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط النسب في قريش. لم يكن حي من أحياء قريش إلا وقد ولدوه. فقال الله تبارك وتعالى: قل لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا المودة. تودوني قرابتي وتحفظوني في ذلك (31) .

ولم يسرد ابن هشام وابن إسحاق هذه الرواية ورواها الإمام الهندي والسيوطي عن محمد بن سعد، وذكر الواحدي في تفسيره بلاسند .

أولا: حب آل النبي صلي الله عليه وسلم واجب علي كل مسلم .

---

(27) سورة فصلت: 42 .

(28) سورة التوبة: 128 .

(29) الطبقات الكبري، 19/1 .

(30) سورة الشوري: 23 .

(31) الطبقات الكبري، 21/1، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الشهير الهندي (المتوفى: 975هـ) المحقق: بكري حياني وصفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الطبعة الخامسة، 1401هـ-1981م، باب: في القرآن، فصل: في تفسير سورة الشوري، 489/2، رقم (4592) وجامع الأحاديث، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د. على جمعة، طبع على نفقة: د. حسن عباس زكى، باب: حرف العين، مسند عبد الله بن عباس، 23/36، رقم (38674) والوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (المتوفى: 468هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ-1994م، 50/4 .

ثانيا: بيان شرف آل النبي صلي الله عليه وسلم علي الجميع .

ثالثا: علي الدعاة أن لايتخذوا الدعوة غرضا لمال الدنيا ومنصبه وغير ذلك .

ثانيا: اعتماده علي السنة المطهرة

سلك محمد بن سعد طريقة المحدثين في إيراد الأحداث والوقائع والأخبار بإسناد الروايات إلي أصحابها، واتبعها في جمع الأحاديث والسيرة النبوية والتراجم علي أسس علم الرجال جرحا وتعديلا لتوثيق الروايات وتمييز صحيحها من ضعيفها، وتوضيح أهل المدلسين والمكذبين وغير ذلك .

لأن السنة المطهرة مصدر أساسي في طبقات الكبري بأن مؤلفه جمع من الروايات والأسانيد الموثقة في علم السنة والسيرة النبوية .

ثالثا: ترجيح بعض الروايات علي بعض

وأحيانا محمد بن سعد يرجح بعض الروايات علي بعض في إيراد الأخبار والوقائع،

ولكن في التراجم أظهر رأيه نادرا، كنموذج رواية في وفاة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلي الله عليه وسلم:

قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي أخبرنا موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال: وحدثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالا: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات. ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا. فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض. فقال: أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار. فأقام عندهم مريضا شهرا. ومضى أصحابه فقدموا مكة. فسألهم عبد المطلب عن عبد الله. فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض. فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة. وهو رجل من بني عدي بن النجار. في الدار التي إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك. وأخبره أخواله بمرضه. وبقيامهم عليه. وما ولوا من أمره. وأنهم قبروه. فرجع إلى أبيه فأخبره. فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدا شديدا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل. ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة (32) .

قال محمد بن عمر الواقدي: هذا هو أثبت الأقاويل والرواية في وفاة عبد الله بن عبد المطلب وسنه عندنا (33) .
قال: وأخبرنا محمد بن عمر. حدثني معمر عن الزهري قال: بعث عبد المطلب عبد الله إلى المدينة يمتار له تمرا فمات. قال محمد بن عمر: والأول أثبت (34) .

(32) المصدر السابق، 79/1-80، وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى، 1414هـ-1993م، 331/1، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 244/2 .

(33) المصدر السابق، 80/1، ونهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (المتوفى: 733هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى، 1423هـ، 66/16 .

(34) المصدر السابق، 80/1، وتاريخ دمشق، 77/3 .

قال أبو عبد الله محمد بن سعد:

وقد روي لنا في وفاته وجه آخر. قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه وعن عوانة بن الحكم قالا: توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرا. ويقال سبعة أشهر (35) .

قال محمد بن سعد: والأول أثبت أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل (36) .

أولا: ثبت أن والد الرسول صلى الله عليه وسلم قد توفي وهو حمل كما أثبت محمد بن سعد .

والرواية الثانية نقل في يوم غزوة بدر كنموذج:

أخبرنا عفان بن مسلم وسعيد بن سليمان قالا: أخبرنا خالد بن عبد الله. أخبرني عمرو بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عامر بن ربيعة البدري قال: كان يوم بدر يوم الاثنين لسبع عشرة من رمضان (37) .

أخبرنا الفضل بن دكين. أخبرنا عمر بن شبة عن الزهري قال: سألت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن ليلة بدر فقال: ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان (38) .

أخبرنا خالد بن خداش. أخبرنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كانت بدر لسبع عشرة من رمضان يوم الجمعة (39) .

قال محمد بن سعد: وهذا الثبت أنه يوم الجمعة. وحديث يوم الاثنين شاذ (40) .

أولا: كان غزوة بدر في رمضان ويوم الجمعة كما أثبت محمد بن سعد .

ثانيا: كان تاريخ يوم بدر متفق عليه وهو لسبع عشرة من رمضان .

رابعا: استشهاده بالأشعار

استشهد محمد بن سعد بالأشعار في خلال أحداث السيرة النبوية واتبع منهج المتقدمين بصفة خاصة ولكن ليس كثيرا، بل وضع الأشعار في مواضع قليلة، وإذا قارناه بسيرة ابن هشام مثلا توجد فيه قصائد كثيرة في مواضع كثيرة وطويلة .

كنموذج من الطبقات الكبرى:

وقالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبد الله بن عبد المطلب:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم

دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم

(35) المصدر السابق، 80/1، والبداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: 774هـ) الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1407هـ-1986م، 263/2 .

(36) المصدر السابق، 80/1، والبداية والنهاية، 263/2 .

(37) المصدر السابق، 15/2 .

(38) المصدر السابق، 15/2 .

(39) المصدر السابق، 15/2 .

(40) المصدر السابق، 80/1، والبداية والنهاية، 263/2 .

فإن يك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم (41) .

خامسا: اعتماده علي ترتيب الحولي والمكاني

فقد عرض محمد بن سعد أحداث السيرة النبوية ووقائعها بترتيب الحولي، واتبع طريقة التي سبقه بها ابن إسحاق والواقدي وغير ذلك. ولاحظ بترتيب الزمني والمكاني في تراجم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. وقد اعتبر بتراجمهم بترتيب الزمني من السبق إلي الإسلام، وجعل أساسا فيه الهجرة والشركة في غزوة بدر، ثم أورد تراجم الأنصار البدريين، واعتني بترتيب المكاني المدن والأمصار التي نزل فيها الصحابة ومن بعدهم التابعين وغير ذلك، وهكذا اعتبر أثناء التقسيم المكاني في تقسيم الطبقات، ويحتاج هذا الأمر إلي تعدد الترجمة لرجل واحد في مواضع كثيرة، كما أورد ترجمة أبي موسي الأشعري رضي الله عنه في من يفتي في المدينة المنورة (42)، وفي الطبقات الثانية من المهاجرين (43)، وفي الصحابة الذين نزلوا بالكوفة (44) .

وبدأ من المدينة المنورة (45)، ثم المكة (46)، والطائف (47)، واليمن (48)، وغير ذلك .

ونقل محمد بن سعد موضوعات عديدة لاتتعلق بزمن معين، مثلا علامات النبوة ودلائله (49)، وبيان صفاته في التوراة والإنجيل (50)، وصفاته وَالْخُلْقِية (51)، الخَلْقِية (52)،

سادسا: إيراده الإسرائيليات والأساطير

ولم ينقل محمد بن سعد الروايات الإسرائيلية والمنكرة كثيرة في كتابه "الطبقات الكبري"، ولكن توجد قليلة التي رواها محمد بن سعد عن هشام بن محمد بن السائب في أخبار الأنبياء السابقين وتاريخ العرب قبل الإسلام، ونسوق كنموذج:

قال: أخبرنا هشام بن محمد أخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خرج آدم من الجنة بين الصلاتين. صلاة الظهر وصلاة العصر. فأنزل إلى الأرض. وكان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة. وهو خمسمائة سنة من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة. واليوم ألف سنة مما يعد أهل الدنيا. فأهبط آدم على جبل بالهند يقال له نوذ. وأهبطت حواء بجدة.... فلما حج آدم. وضع الحجر الأسود على أبي قبيس فكان يضيء لأهل مكة في ليالي الظلم كما يضيء القمر. فلما كان قبيل الإسلام بأربع سنين. وقد كان الحيض والجنب يصعدون إليه يمسحونه فاسود فأنزلته

(41) المصدر السابق، 80/1، وسبل الهدي والرشاد، 332/1 .
(42) المصدر السابق، 262/2 .
(43) المصدر السابق، 78/4، رقم الترجمة (367) .
(44) المصدر السابق، 94/6، رقم الترجمة (1833) .
(45) المصدر السابق، 3/5 .
(46) المصدر السابق، 3/6 .
(47) المصدر السابق، 45/6 .
(48) المصدر السابق، 57/6 .
(49) المصدر السابق، 119-149/1 .
(50) المصدر السابق، 270/1 .
(51) المصدر السابق، 270/1 .
(52) المصدر السابق، 314/1 .

قريش من أبي قبيس. وحج آدم من الهند إلى مكة أربعين حجة على رجليه. وكان آدم حين أهبط يمسح رأسه السماء. فمن ثم صلع وأورث ولده الصلع. ونفرت من طوله دواب البر فصارت وحشا من يومئذ. فكان آدم وهو على ذلك الجبل قائما يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنة. فحط من طوله ذلك إلى ستين ذراعا. فكان ذلك طوله حتى مات. ....ثم تغشاها آدم فحملت حملا خفيفا فمرت به. يقول: قامت وقعدت. ثم أتاها الشيطان في غير صورته فقال لها: يا حواء ما هذا في بطنك؟ قالت: لا أدري! قال: فلعله يكون بهيمة من هذه البهائم؟ ثم قالت: ما أدري! ثم أعرض عنها حتى إذا هي أثقلت أتاها فقال: كيف تجدينك يا حواء؟ قالت: إني لأخاف أن يكون كالذي خوفتني. ما أستطيع القيام إذا قمت. قال: أفرأيت إن دعوت الله فجعله إنسانا مثلك ومثل آدم تسميه بي؟ قالت: نعم. فانصرف عنها. وقالت لآدم: لقد أتاني آت فأخبرني أن الذي في بطني بهيمة من هذه البهائم. وإني لأجد له ثقلا وأخشى أن يكون كما قال. فلم يكن لآدم ولا لحواء هم غيره حتى وضعته فذلك قول الله. تبارك وتعالى: {دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (53)، فكان هذا دعاؤهما قبل أن تلد. فلما ولدت غلاما سويا أتاها فقال لها: ألا سميته كما وعدتني؟ قالت: وما اسمك؟ وكان اسمه عزازيل. ولو تسمى به لعرفته. فقال: اسمي الحارث. فسمته عبد الحارث فمات. يقول الله: {فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (54)، وأوحى الله إلى آدم: أن لي حرما بحيال عرشي. فانطلق فابن لي بيتا فيه. ثم حف به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي. فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي..... (55) .

ونقل السيوطي والطبري هذه القصة باختصار جدا .

أولا: ظهر من الألفاظ الرواية أنها من الإسرائيليات والأساطير المكذبة التي وضعتها اليهود والنصاري ليفسدوا المؤمنين إيمانهم وعقائدهم ثابتة .

ثانيا: إن من إيماننا أن ننزه آدم وحواء عليهما السلام، وكيف استجابا لداعي الشيطان في أمر يخرجهما من الإيمان إلي الشرك، وهذا محال .

ثالثا: وقد أنزل الله في آدم وحواء آية قرآنية تضمن إيمانهما وتصمهما عن الكفر والشرك بعد الإيمان .

سابعا: وقد قسم الإمام محمد بن سعد كتابه الطبقات الكبري في قسمين رئيسين، منهما:

القسم الأول في السير النبوية:

وقد زين وعطر كتابه بسيرة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم علي الموضوعات بأسانيد فبدأ بذكر أجداد النبي صلي الله وفضائلها، ثم أخذ الأحداث الماضية من الأنبياء السابقين إلي سيد ولد آدم محمد صلي الله عليه وسلم، ثم تناول نسب النبي صلي الله عليه وسلم، ثم سرد ذكر أمهات رسول الله صلي الله عليه وسلم، ثم كتب ذكر أمهات رسول الله صلي الله عليه وسلم، ومولد النبي صلي الله عليه وسلم، ونشأته، وتجارته، وزواجه، وأولاده، واختلاؤه، وإرهاصات النبوة قبل البعثة وعلاماتها بعده، وبعثته، وكفية بدء الوحي، وفترته، والدعوة السرية والجهرية،

(53) سورة الأعراف: 189 .

(54) أيضا: 190 .

(55) الطبقات الكبري، 1/-13-134، والدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت، 139/1-141، وتاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (المتوفى: 310هـ) الناشر: دار التراث، بيروت، ط: الثانية، 1387هـ، 120/1 .

والمظالم المادية والنفسية ومفاضاتها التي تواجه إلي النبي صلي الله عليه وسلم وإلي أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وهجرتا الجبشة، والمقاطعة العامة، والرحلة إلي الطائف، والإسراء والمعراج، وفرض الصلاة، ودعاءه قبائل العرب في مواسم الحج، ولقاء الأوس والخزج وبيعتا العقبة، والهجرة إلي المدينة المنورة، والأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الجديدة من المؤاخات بين المهاجرين والأنصار، وبناء المسجد، والميثاق مع اليهود، وذكر بناء مسجد قباء، وبناء المسجد النبوي، ودعوة الملوك والرؤساء إلي الإسلام، ووفادات العرب عليه صلي الله عليه وسلم، وذكر أوصافه في الكتب السابقة من التورات والإنجيل، وصفة خَلْقِه وخُلُقِه، ثم ذكر سرية سرية وغزوة غزوة مع أسمائها وتواريخها، ويتناول حجة الوداع، ومرضه، ووصيته، ووفاته، والصلاة عليه، ودفنه، وميراثه، ومرائثه، وأورد ذكر من يفتني بالمدينة المنورة ويقتدي به من أصحابه علي عهده، وبعد ذلك وإلي من انتهي علمهم، وذكر من جمع القرآن الكريم علي عهده، وذكر من كان يفتي بالمدينة المنورة بعد أصحابه من أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم .

القسم الثاني: في طبقات الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلي عصره:

ثم وضع القسم الثاني في قسمين قسم للرجال والآخر للنساء .

وأما طبقات رجال الصحابة فهي خمسة طبقات، فقد أرعي فيها سوابق الصحابة إلي الإسلام ونصرته، والهجرة والنسب والمكانة، فهي:

الطبقة الأولي: أهل بدر من المهاجرين والأنصار، شرعهم بذكر النبي صلي الله عليه وسلم، ثم قرابته في النسب، ثم ذكر من حضرها من المهاجرين ثم ذكر الأنصار من الأوس والخزرج ثم انتهي بالنقباء الذين بايعوه صلي الله عليه وسلم عند البيعة العقبة .

الطبقة الثانية: وهم من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرا، ولهم إسلام قديم وقد هاجر عامتهم إلى أرض الحبشة وشهدوا أحدا وما بعدها من المشاهد (56) .

الطقبة الثالثة: وهم من شهد الخندق ومابعدها، ومن أسلم في الفترة بين الخندق وفتح مكة (57) .

الطبقة الرابعة: وهم ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك (58) .

الطبقة الخامسة: وهم من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم أحداث الأسنان. ولم يغز منهم أحد مع رسول الله صلي الله عليه وسلم. وقد حفظ عامتهم ما حدثوا به عنه. ومنهم من أدركه ورآه ولم يحدث عنه شيئا (59)

---

(56) المصدر السابق، 3/4 .

(57) سقط قسم من هذه الطبقة من المطبوع (أكثر من النصف) .

(58) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد "الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك"، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفي: 230هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، عام النشر: 1416هـ، سقطت هذه الطبقة السابقة بكاملها من المطبوع، وهذه رسالة علمية، لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم القري بمكة المكرمة، واعتمدها المحقق علي نسخة أحمد الثالث، من (7/55ب) إلي (7/245أ) .

(59) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد "الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم أحداث الأسنان"، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفي: 230هـ) تحقيق: محمد بن صامل السلمي، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، ط: الأولى، 1414هـ-1993م، سقطت هذه الطبقة السابقة بكاملها من المطبوع، وهذه رسالة علمية، لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم القري بمكة المكرمة، واعتمدها المحقق علي نسخة أحمد الثالث، من (7/246أ) إلي (8/145ب) .

فهذه طبقات الصحابة واستخدم فيها ابن سعد العنصر الزماني والمكاني كما ذكرناه .

وأما المجلد الثامن: الذي اختص به بالنساء خاصة، وابتدأه بذكر سيدة خديجة رضي الله عنها، وبنات الرسول صلي الله عليه وسلم، وعماته، وبنات عمومته، وأزواجه، ثم أورد في كيفية معاملته صلي الله عليه وسلم مع نسائه، وتناول النساء المسلمات المبايعات من قريش وحلفائهم ومواليهم وغرائب نساء العرب المسلمات المهاجرات المبايعات، ثم أورد ذكر نساء الأنصار من الأوس والخزرج، ثم اختتم كتابه بذكر النساء اللواتي لم يكن لهن رواية عن الرسول صلي الله عليه وسلم، ولكن يروين عن أزواجه وغيرهن .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفقه يصل المرء إلي مرام الغايات، والشكر له ليلا ونهارا علي ما أنعم وأعان، والصلاة والسلام علي سيد الأنبياء وخاتم النبيين وعلي آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم إلي يوم الدين بعد أن أكملت هذا البحث بتوفيق الله تعالي وفضله وعونه . وبعد التعمق "أحداث السيرة النبوية في العهد المكي من خلال كتاب الطبقات الكبرى للإمام ابن سعد (230هـ)" وصلت إلي النتائج المهمة والفوائد المنفعة، التي أعانني الله تعالي ويسر لي التوصل إليها، ومن أهم هذه النتائج والفوائد مما يلي:

أولا: اعتماده علي الروايات والأسانيد

سلك محمد بن سعد مسلك المحدثين في كتابه علي الروايات والأسانيد التي تدل علي وسعة علمه في تاريخ الأنبياء السابقين والسيرة النبوية والأنساب وعلوم الحديث وتراجم الذاتية للصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء إلي عصره

ثانيا: تفرده بالروايات والأسانيد

إن محمد بن سعد نقل الروايات والأسانيد الكثيرة لايشارك فيها أحد من المصنفين ولاتوجد عنهم إلا بطريق محمد بن سعد، وهذا الأمر يدل علي حريته بجمع الروايات والأسانيد والدراسة المتأنية .

ثالثا: شخصيته العلمية الفريدة

إن محمد بن سعد كان من الشخصية العلمية الفريدة التي يتمتع بها. وهذا الأمر يدل في سعة الرواية وانتقائها، ونقد الأسانيد والمتون والدراية بالعلل، وكثرة التصفيات المسندة وغير ذلك .

رابعا: تأثر المصنفين من منهج محمد بن سعد في كتابة دلائل النبوة وشمائلها

أورد محمد بن سعد في كتابه فصولا عن علامات النبوة ودلائلها وشمائلها، وهذه الفصول كانت أصولا لعلم شمائل النبوة ودلائلها، وتأثر المصنفون الذين تألفوا كتبهم في شمائل النبوة ودلائها، وساروا علي المنهج الذي سار عليه محمد بن سعد، ونقلوا عنه كثيرا من الروايات بأسانيدها .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆